

## علاقة الشخصية بالمكان في رواية

ليل علي بابا الحزين لعبد الخالق الركابي

**The character's relationship to the place in a novel****Ali Baba's Sad Night by Abd al-Khaleq al-Rikabi**

Wesal Tariq Saleh

وصال طارق صالح

Ministry of Education, Salah

وزارة التربية، مديرية تربية صلاح الدين

al-Din Education Directorate

wsaltm98n@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الشخصية - المكان - ليل علي بابا - الركابي - الروائي

**Keywords: The character - the place - Ali Baba's night - Al-Rikabi - the novelist**

## الملخص

يعد المكان من العناصر المهمة في أي عمل أدبي أو روائي لذلك تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة، يؤثر كل طرف منها على الآخر، كذلك تتم عملية التأثر والتأثير في العلاقة بينهما، فالمكان يكتسب هويته من هوية الإنسان الذي يعيش فيه كما ويؤثر في الإنسان فيكسبه هوية خاصة؛ فالمكان يعكس حقيقة الشخصية، كما إن حياة الشخص تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط به؛ لأن وجود الأشياء في المكان أوضح وارسخ من وجودها في الزمن؛ لذلك تقلد المكان صورة البطل في الرواية الجديدة.

وكثيراً ما يعمد الكاتب الى وصف المكان بكل تجلياته وصفاً دقيقاً؛ لكي يضع القارئ في قلب الأحداث، فبالوصف يتم رسم صورة بصرية أساسها اللغة، فاللغة تحيل جميع الصور المبهمة الى عوالم حقيقية ذات مغزى معرفي وجمالي لإبراز ثقافة وحياة الشعوب .

ومن أهم أسباب اختياري رواية (ليل علي بابا الحزين) للكاتب (عبد الخالق الركابي) كونها رواية تاريخية، فقد كان الكاتب مؤرخاً للتاريخ العراقي، فقد صبغ شخصيات روايته بأحداث حقيقية كانت شاهداً ووثيقة على جرائم الاحتلال الأمريكي، وما تعرضت له الشخصية من انتهاكات غير انسانية، من قتل ودمار وتشريد وقد بلور الكاتب الأحداث في مكان وزمان معين وركز كثيراً على الأماكن ووجود الشخصيات فيها، وكان المكان البطل الحقيقي للرواية. وقد اختتمت بحثي بخلاصة تمثل أبرز النتائج التي خلص اليها البحث.

حيث استعمل الروائي اللغة العربية الفصحى في الرواية، نلمس من اللحظة الأولى في الرواية علاقة الشخصية بالمكان والزمان، فيكشف لنا الروائي منذ الوهلة الأولى عن علاقته الصريحة مع الفضاء بقسميه الزمان والمكان لنقتنص خلال هذه العلاقة مدى التلاحم والتلاصق بين عناصر الرواية.

كما وظف الروائي المكان في الرواية باعتباره بطلا لروايته، فقد القى الضوء على أحداث حقيقية أراد لها ان تشاهد علانية لتكون شهادة ووثيقة تاريخية على الانتهاكات التي يتعرض لها العراق اثناء الاحتلال الأمريكي.

ثم تطرق الروائي الى أزمة المثقف العراقي في ظل منظومة سلطوية تحمو الأنساق الفكرية المعارضة لها وتصادر حريتها في الكلام والتفكير في خضم واقع قسري ممثلا بالحروب والسلطة العنيفة.

ولايد ان نعلم ان الروائي عبد الخالق الركابي من الروائيين الواقعيين، لذلك حفلت روايته بأحداث واماكن حقيقية، إذ ذكر فيها العديد من الشوارع والأماكن التي هي نبض الشارع البغدادي، وهو بذلك يسلط الضوء ليفسر الكثير من الدلالات والأحداث الاجتماعية والنفسية. وأخيرا أسأل الله تعالى أن أكون وفقته في ما صنعت، فإن أحسنت فالتوفيق من الله، وإن اخطأت فكل بني آدم خطاء، وأسأل الله النجاح والفلاح لي ولكل من سلك طريقا يلتمس فيه علما.

والحمد لله رب العالمين

**Abstract**

The process of influencing and influencing the identity of the relationship between them began, which arose in the relationship between them in particular; The nature of the reason explained by the state of health. Because existence in place is clearer and more solid than existence in time. So the place imitated the image of the hero in the new novel.

The picture is what the writer intends to describe the place in all its manifestations and an accurate description; In order to put the reader in the heart of the events, the description draws a visual image based on language. Language refers all vague images to real worlds of cognitive and aesthetic significance to highlight the culture and life of peoples.

One of the most important reasons for the novel (The Night of the Sad Baba) by the writer (Abdul-Khaleq Al-Rikabi) is that it is a historical novel, as the writer was a historian of Iraqi history. However, the real protagonist of the novel was the place.

I concluded my research with a summary of the most important findings of the research

Where the novelist used the classical Arabic language in the novel, touching from the first moment in the novel the relationship of the character with space and time, in revealing the novel from the first moment his explicit relationship with space in its two parts of time and space, so that we can seize this relationship between the elements of the novel.

It was the opportunity to obtain a novelist's license in Iraq during the occupation period.

Then the novelist touched on the crisis of the Iraqi intellectual in an authoritarian system that erases her intellectual patterns and confiscates her freedom of speech and thinking in the midst of a coercive reality represented by wars and violent power.

Numbers and beams, marking the birth of a happy birthday, happy birthday, happy birthday, one birthday, an illustration, an illustration, signs and events, and fountains.

Finally, I ask God Almighty to be successful in what I have done. If I do well, success is from God, and if I make a mistake, then all the children of Adam, and I ask God for success and success for me and for everyone who follows a path seeking knowledge.

and thank Allah the god of everything

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اما بعد..  
بعد المكان من العناصر المهمة في أي عمل أدبي او روائي لذلك تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة، يؤثر كل طرف منها على الآخر، كذلك تتم عملية التأثير والتأثير في العلاقة بينهما، فالمكان يكتسب هويته من هوية الإنسان الذي يعيش فيه كما ويؤثر في الإنسان فيكسبه هوية خاصة؛ فالمكان يعكس حقيقة الشخصية، كما إن حياة الشخص تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط به؛ لأن وجود الأشياء في المكان اوضح وارسخ من وجودها في الزمن؛ لذلك تقلد المكان صورة البطل في الرواية الجديدة.

وكثيرا ما يعتمد الكاتب الى وصف المكان بكل تجلياته وصفا دقيقا؛ لكي يضع القارئ في قلب الأحداث، فبالوصف يتم رسم صورة بصرية أساسها اللغة، فاللغة تحيل جميع الصور المبهمة الى عوالم حقيقية ذات مغزى معرفي وجمالي لإبراز ثقافة وحياة الشعوب .  
ومن أهم أسباب اختياري رواية ( ليل على بابا الحزين) للكاتب (عبد الخالق الركابي) كونها رواية تاريخية، فقد كان الكاتب مؤرخا للتاريخ العراقي، فقد صبغ شخصيات روايته بأحداث حقيقية كانت شاهدا ووثيقة على جرائم الاحتلال الأمريكي، وما تعرضت له الشخصية من انتهاكات غير انسانية، من قتل ودمار وتشريد وقد بلور الكاتب الأحداث في مكان وزمان معين وركز كثيرا على الأماكن ووجود الشخصيات فيها، وكان المكان البطل الحقيقي للرواية.  
وقد اختتمت بحثي بخلاصة تمثل أبرز النتائج التي خلص اليها البحث وأخيرا أسأل الله تعالى أن أكون وفقت في ما صنعت، فإن أحسنت فالتوفيق من الله، وإن اخطأت فكل بني آدم خطاء، وأسأل الله النجاح والفلاح لي ولكل من سلك طريقا يلتمس فيه علما.

والحمد لله رب العالمين

## علاقة الشخصية بالمكان والزمان

لا شك إن الشخصيات من أهم عناصر الفن الروائي، ولكن هذه الشخصيات لا يمكن أن تمارس أدوارها ووظائفها من دون الفضاء الزمكاني، فالفضاء الزمكاني ((هو الإطار الذي تمارس فيه الشخصيات أدوارها ووظائفها، فعندما يبدأ الروائي ببناء عالمه التخيلي الخاص الذي سوف يضع في إطاره الشخصيات، ثم يسقط عليه الزمن- والزمن لا يأتي إلا مرتبطاً بالمكان- فإنه يصنع عالماً مكوناً من الكلمات))<sup>(١)</sup> كما ان للمكان في الرواية أهمية عظيمة لا يمكن إغفالها إذ ((هو الحيز الزمكاني الذي تتمظهر فيه الشخصيات والأشياء، متلبسة بالأحداث تبعاً لعوامل عدة تتصل بالرؤية الفلسفية و بنوعية الجنس الأدبي وبحساسية الكاتب او الروائي))<sup>(٢)</sup>.

إن المكان يتخذ دلالاته التاريخية والفكرية من خلال الأفعال وتشابك العلاقات، لذا لا يمكن نكران وجوده أو أهميته من حيث كونه ((الأرضية التي تسد جزئيات العمل كله، فهو إن وضح، وضح الزمان الروائي، وإن درس بعناية فهمت الشخصية، وإن تناوله الروائي بصدق تاريخي وصدق فني، مكن عمله من ان يمتد في التاريخ))<sup>(٣)</sup>، كما إن المساحة التي تقع فيها الأحداث، التي تفصل بين القارئ وعالم الرواية، لها دور أساسي في تشكيل النص الروائي؛ لأن الرواية عبارة عن ((رحلة في الزمان او المكان على حد سواء))<sup>(٤)</sup>.

وقد نادى اتباع مدرسة الرواية الجديدة بتحطيم الزمان كمقياس لمغزى الحياة، واحلال المكان محله، وحجتهم في دعم رأيهم هو ان وجود الأشياء في المكان اوضح وارسخ من وجودها في الزمان<sup>(٥)</sup>، وبذلك يصبح المكان هو البطل الحقيقي في الرواية الجديدة. إن تعدد تسميات المصطلح، بسبب كثرة الترجمات -وتداول المصطلح- أدى الى خلط مصطلحي، مما شكل نوعاً من التضليل والضبابية للمصطلح.

(١) قضايا الفن الروائي عند صبحي فحماوي، ابراهيم مصطفى الحمد، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠١٢م: ١٠٢.

(٢) الفضاء الروائي في (الغربة) الاطار والدلالة، منيب محمد البوريمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م: ٢١.

(٣) تأنيث الأمكنة في روايات ابتسام عبدالله، انتظار احمد حسين، رسالة ماجستير، جامعة ديالى، كلية التربية، ٢٠٠٤: ٤.

(٤) تأنيث الأمكنة في روايات ابتسام عبدالله: ٢.

(٥) ينظر: نحو رواية جديدة، آلان روب جوييه، ترجمة: مصطفى ابراهيم مصطفى، تقديم: د. لويس عوض، دار المعارف، مصر، دراسات في الآداب الاجنبية، د.ط، د.ت: ١١.

فقد استعمل الفرنسيون مصطلح (الفراغ) حين ضاقوا بمصطلح (الموقع) للدلالة على المكان اما الإنجليز فقد استعملوا مصطلح (البقعة) بعد اتساع كلمة (مكان/ فراغ) فد(البقعة) كانت للتعبير عن المكان المحدد لوقوع الحدث<sup>(١)</sup>.

أما (عبد الملك مرتاض) فقد اطلق عليه مصطلح (الحيز) بدلا عن مصطلح (الفضاء) على اعتبار ان مصطلح (الفضاء) قاصر بالقياس الى (الحيز) لأن الفضاء معناه الخواء والفراغ بينما (الحيز) ينصرف استعماله الى النتوء، والوزن والنقل، والحجم، والشكل<sup>(٢)</sup>.

إن للمكان في الرواية ((قدرة على التأثير في تصوير الأشخاص، وحبك الحوادث مثلما للشخصيات اثر في صياغة المبنى الحكائي للرواية، فالتفاعل بين الأمكنة والشخوص، شيء دائم ومستمر في الرواية، مثلما هو دائم ومستمر في الحياة. فتكوين المكان، وما يعرّوه من تغيير في بعض الأحيان يؤثر تأثيراً كبيراً في تكوين الشخوص))<sup>(٣)</sup> إذ إن المكان وفي علاقته بالشخصية، يظل عاملاً أساساً من عوامل تأكيد الوجود وتحقيقه وتثبيتته. وقد قسم (غالبا هلسا) المكان الى اربعة انواع هي<sup>(٤)</sup>:

١. المكان المجازي: هو الذي تجده في رواية الأحداث المتتالية، إذ يكون المكان مساحة للأحداث ومكماً لها، وليس عنصراً مهماً في العمل الروائي، فهو مكان سلبي يخضع لأفعال الشخصيات.
٢. المكان الهندسي: هو الذي تعرضه الرواية بدقة و حياد من أبعاده الخارجية.
٣. المكان كتجربة معاشة داخل العمل الروائي: وهو قادر على إثارة ذكرى المكان عند المتلقي.
٤. المكان المعادي: كالسجن والمنفى والطبيعة الخالية من البشر ومكان الغربة. ويؤكد (محمد عزام) إن هنالك الكثير ممن اعترضوا على هذا التقسيم، ورأوا إن المكان كله

(١) ينظر: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، د. أحمد رحيم كريم الخفاجي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق، بابل، ط١، ٢٠١٢: ٤٢٢.

(٢) ينظر: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، د. عبدالمك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة، (٢٤٠)، الكويت، ١٩٩٨: ١٤١.

(٣) بنية النص الروائي، ابراهيم خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة- الجزائر، ط١، ٢٠١٠: ١٣١.

(٤) معجم السيميائيات، فيصل الاحمر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر- الجزائر العاصمة، ط١، ٢٠١٠: ١٢٧.

مجازي في الرواية، ولا يمكن ان تقول مكان هندسياً وآخر معادياً، فكل الأماكن لها أبعاد هندسية، فالمكان يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث، أما الزمان فيمثل في هذه الأحداث نفسها<sup>(١)</sup>.

أما الزمان (( فهو مظهر نفسي لا مادي ومجرد لا محسوس، ويتجسد الوعي به خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر، لا من خلال مظهره في حد ذاته، فهو وعي خفي، لكنه متسلط، ومجرد، ولكنه يتمظهر في الأشياء المجسدة))<sup>(٢)</sup>.

وقد عرف نقاد السرد الزمن بأنه (( مجرد حقيقة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على الشخصيات والمكان، والزمن هو القصة وهي تتشكل، وهو الإيقاع، وهو خيط وهمي مسيطر على كل الأنشطة والأفكار))<sup>(٣)</sup> فالزمن في الرواية الحديثة لم يعد مجرد موضوع فحسب أو شرط لازم لإنجاز تحقيق ما، بل (( أصبح هو ذاته موضوع الرواية (...)) كما إن استحالات الشخصيات والحوادث لاتزال تتدرج في نطاقه (...)) إن هذا الزمن يوشك أن يصبح بطل القصة))<sup>(٤)</sup>، كما ((إن الزمن في النص السردي هو زمن داخلي ناتج من حركة الشخصيات فيه، ووعيها له فيكون الزمن في العمل الروائي هو (( صيرورة الأحداث الروائية المتتابعة على وفق منظومة لغوية معينة تعتمد على الترتيب والتتابع والتوتر والدلالة الزمنية بغية التعبير عن الواقع الحياتي المعيشي، على وقت الزمن الواقعي او السيكولوجي او الفلسفي))<sup>(٥)</sup>.

إن فالمكان والزمان، عنصران متلازمان بالضرورة، فلا بد لكل حدث او قصة من ان تحدث في مكان معين وزمان معين، اذ تظل فكرة الزمان تمتزج دائما بفكرة المكان؛ وذلك لأن ((كل من الزمان والمكان مرآة تعكس احدهما صورة الأخرى ومناسبة تستنتق اثرها))<sup>(٦)</sup>. يقدم لنا الروائي (عبد الخالق الركابي) في روايته (ليل علي بابا الحزين) - مدار بحثي - علاقة الشخصية بالمكان والزمان، فيكشف لنا منذ الوهلة الأولى عن علاقته الصريحة

(١) ينظر: معجم السيميائيات، فيصل الاحمر: ١٢٧، وبنية النص الروائي: ١٣٣.

(٢) في نظرية الرواية: ٢٠١.

(٣) المصطلح السردي في النقد: ٣٣٩.

(٤) عالم الرواية، رولان بورنوف ورويال اوثليليه، ترجمة: نهاد التكرلي، ود. محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، سلسلة المائة كتاب، - الثانية، ط ١، ١٩٩١: ١١٨.

(٥) رؤية جمالية في قصص صبحي فحماوي، د. سوسن البياتي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط ١، ٢٠١١: ٢٧.

(٦) حفيد اوراك قراءات في أدب زيد الشهيد، تقديم وتحرير: د. فاضل عبود التميمي، تموز، دمشق، ط ١، ٢٠١١: ٢٨.

مع الفضاء بقسميه: الزمان والمكان، لنلمس من خلال هذه العلاقة مدى التلاحم والتلاصق بين عناصر الرواية، ويؤكد حضورها في الكيفية التي يتم بها تعيين المعطين على نحو لافت متميز من غيره بقابلية على التقاط أثر المكان بأسلوب فاعل ومنفعل في آن واحد، فالمكان العراق والزمان وقت الاحتلال الأمريكي على العراق عام ٢٠٠٣م، أثناء ما كانت مدرعات المارينز الأمريكي تسابق بعضها بعضاً في شوارع ومدن العراق المستباحة، وهدير (السمتيات) الأمريكية تصول وتجول في السماء، لقد ألبس الروائي روايته زمناً واقعياً وهذا ما دعا إليه (بروب) (فالزمن في نظره الواقع)<sup>(١)</sup>.

لذلك تباينت تجليات المكان في الرواية بين ثنائية ضدية متمثلة بالمكان المفتوح/المغلق وفق تلك الأماكن المفتوحة التي اختارها الكاتب هو الشارع الذي يتميز بكونه أكثر الأماكن انفتاحاً وينبض دوماً بالحيوية والاستمرارية.

وقد اختار لنا الكاتب شارع (المتنبي) وهو شارع معروف في العاصمة العراقية بغداد بكونه منبراً للعلم والأدب، وصرح من صروح العلم والمعرفة، فتتواجد فيه العديد من المكتبات المختصة ببيع أنواع الكتب الحديثة والقديمة، وكل ما تشتهي الروح من تراث الأقدمين، لذلك فهو شارع مكتظ بالمتقنين واساتذة العلوم الإنسانية والعلمية لينهلوا من ارصفته انواع الكتب، ويتهافتوا على اقتناء كل ما هو جديد من نتاجات الكتاب من علوم وفنون وشعر وغيرها.

وعلى الرغم من كون الشارع مكاناً مفتوحاً إلا انه بدا في الرواية مكاناً مغلقاً وخائفاً في تصوير و وصف الكاتب اذ تحول الى ساحة حرب ودم وهذا ما جاء على لسان (حسيب رجب) صديق (عبد الخالق)، ((هذا الانفجار الهائل الذي هز بغداد كلها منذ اقل من ساعة... حصل في شارع المتنبي بين مكتبة صديقنا عدنان و مقهى الشابندر على وجه التحديد... لقد سقط العشرات شهداء وجرحي حتى غطت الجثث الشارع!! كأن القيامة قامت وسط خليط من تراب ودخان لمحت خطفا اجسادا بشرية تنتطير كيفما اتفق، في خضم عصف من الكتب والأوراق والألواح وقطع الأسمنت والطابوق))<sup>(٢)</sup>.

ولقد بدا ذلك الشارع المسالم اشبه بساحة قتال لم تهدر فيها الدماء وحدها، بل المداد ايضا، لقد جاء الوصف مفتوحاً على دلالات الزمان والمكان، والمكان الذي تم وصفه من قبل الكاتب رغم كونه مكان مفتوحاً بدلالة وجود الشارع الا انه كان مكاناً خائفاً، بل ويمكن عده مكاناً مغلقاً، اذا ما نظرنا الى حالة الألم والقهر التي اعتصرت قلب الكاتب (عبد الخالق

(١) مدخل الى التحليل البنوي للقصص، (رولان بارت)، ترجمة: د. منذر عياش، مركز

الانماء الحضاري، الأعمال الكاملة، (٢) ط٢، ٢٠٠٢م: ٥٣.

(٢) الرواية: ٢٦-٢٧.

الركابي) اذ تحولت دور العلم والمعرفة الى ساحة للحروب والافتتال فأخذ الناس يفرون هرباً بسبب مظاهر العنف والوحشية والتهالك، وخوفاً من الموت المحقق بهم، فاصبح الشارع هنا مكاناً طارداً او معادياً له، وهذا واضح في خطابه، حين ذهبت الى شارع (الكندي) وهو شارع تجمع الأطباء في بغداد ((كنت لأزال اسير فترة اعتكافي الطويل في البيت على مدى الشهور المنصرمة التي احتمت خلالها الصراع الطائفي على اثر تفجير قبة الإمامين في سامراء، لا أستطيع التعامل مع ما حولي بالتلقائية المطلوبة... اسلك الطرق الجانبية... فانتشر في أعقاب تفجير سامراء، رجال ملثمون مزودون بأسلحة اوتوماتيكية كانوا يقيمون نقاط سيطرة وهمية لغرض الخطف والقتل على الهوية))<sup>(١)</sup>.

نستشف من كلام الكاتب ان الشارع باتساعه وعرضه اصبح مكاناً خانقاً و طارداً ومعادياً له، هكذا تتشكل العلاقة الجدلية بين الإنسان والمكان الذي يحيا فيه من خلال عملية التأثير وعلاقتها بالإنسان الذي يعد جزءاً منه يجري عليه ويؤثر فيه كل ما يحدث في المكان، ومن خلال تلك العلاقة الجدلية كثيرا ما يفقد ((هؤلاء الأشخاص استقلالهم الذاتي تحت ما يمكن ان نسميه بجبرية المكان فيصبحوا مسكونين به، يجسدون أهم تجلياته))<sup>(٢)</sup>.

اذ إن المكان الروائي يعكس مثلول الإنسان في صورة خيالية الشخصية، وهذه الشخصية لا يمكن ان تضطرب الا في حيز جغرافي او في مكان، ولا يجوز في اي عمل سردي ان يضطرب بمعزل عن الحيز الذي يمكن اعتباره عنصراً مركزياً في تشكيل العمل الروائي، حيث يمكن ربطه بالشخصية واللغة والحدث ربطاً عضويًا<sup>(٣)</sup> ويرى صاحب كتاب (عالم الرواية) إن المكان الخانق اخذ يسيطر على الرواية المعاصرة ((فهو في الأحيان ينمي الكراهية او التمرد في قلب شخصية معينة (...)) وفي اغلب الأحيان يحمل الروائي هذا النوع من المكان معنى فلسفياً يتجاوز هذا التأثير النفسي فموضوع (التيه) يعبر بصورة واضحة عن قلق البشر امام العالم الذي لا يجدون فيه مكانهم))<sup>(٤)</sup>.

ويستطرد الروائي حديثه عن الانتهاكات التي كانت تحدث أثناء الغزو الامريكي وكيف أصبحت الشوارع خطيرة الى الحد الذي اصبح التواجد فيها ضرباً من ضروب المغامرة، ((لقد بات الخروج من البيت ضرباً من مغامرة لا اجازف بخوضها الا عند الضرورة القصوى،

(١) الرواية: ١٣.

(٢) الفضاء الروائي: ٤٥.

(٣) ينظر: في نظرية الرواية: ١٤٣-١٤٦.

(٤) عالم الرواية: ١١٣.

كأن اضطر الى أن أعرج على المصرف القريب لتسلم راتبي التقاعدي فأعمد الى اتخاذ شتى ضروب التنكر والخداع للذهاب والعودة بسلام))<sup>(١)</sup>.

نلمس من هذا المقطع الحوارى حجم المأساة والخطر الذي يحقد بمن يخرج من بيته الى الشارع ، لقد تحول الشارع الى مقبرة جماعية لكثرة أعداد المغدورين والمرميين على الرصيف وسط أكوام النفايات، (( لقد باتت جثث الناس مثل جثث الكلاب النافقة ترمى على المزابل دون وجود من يجروء على اخلائها خوفاً من أن تكون مفخخة))<sup>(٢)</sup>، لقد اصبح الشارع مكان عدائياً وموحشاً وفارغاً من المارة؛ وذلك خوفاً من الموت المحقق بالجميع، فلا يكاد يمر يوماً إلا وتتفجر اكثر من سيارة مفخخة وسط حشود الناس وتحصد العديد من أرواح الناس مخلفة وراءها الجثث والاشلاء المتناثرة المجهولة المتفحمة، فضلاً على عدد غير قليل من الجرحى، اضافة الى دمار عام يشمل البنايات والدور السكنية والمحلات والعمارات التجارية عاصفاً بواجهاتها الزجاجية تاركاً هيكلًا اسمنتيًا خاوياً من أي مظاهر الحياة.

ومن الأماكن التي شكلت جزءاً مهماً في عملية إبراز مكامن وجود الشخصية هو المقهى، فالمقاهي أحد الفضاءات الانتقالية التي تتميز بتنوع دلالتها الفنية، فهو من الأماكن المغلقة في الرواية، ولكنه يُعد من الأماكن الجاذبة إذ يستهوي الكثير من الطبقات الاجتماعية بمختلف شرائحها، فهو مكان أشبه ما يكون بالأندية الأدبية فيجذب الأدباء والكتاب للتداول والتحاور والنقاش حول النتاجات الأدبية والشعرية وفرصة للتلاقح الفني والأدبي كما تتبوأ المقاهي مركزاً وتجمعاً لأصحاب الأحزاب والتيارات السياسية في البلاد، لتبادل الآراء السياسية والاقتصادية التي تتعلق بأحوال البلاد وأوضاعها الداخلية والخارجية، ومن تلك المقاهي التي ذكرها الروائي وركز عليها مقهى الشابندر الذي يطلّ على شارع المتنبى فلجأ الى وصفه وصفاً دقيقاً ((كانت الصور المعلقة... على الجدران صور فوتوغرافية قديمة بالأسود والأبيض لسلاطين وملوك وولاة ووزراء وقادة وساسة وشعراء، اشتهر أمرهم أواخر الفترة العثمانية وخلال العقود الأولى من القرن العشرين، كانت تلك الصور بالتيجان والطرابيش والقبعات التي تعلق الرؤوس، وبالنجوم والنياشين والأوسمة التي تزين الأكتاف والصدور ... عجائز استغرقتوا في تدخين ناراجيلهم مستمتعين، في حين انصرف آخرون الى متابعة ما يعرضه التلفاز))<sup>(٣)</sup>.

لقد أسهم الوصف هنا في تحديد الصورة البصرية للمكان وموجوداته، وذلك بهدف الاتصال بالمتلقي، ووضعه في قلب المكان، فالمقاهي هي ملتقى الولادات ومنطلق لها، وهي

(١) الرواية: ٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٢.

(٣) المصدر نفسه: ٢٥.

ملتقى لضبياء الشوارع المتقاطعة وهي مكان اجتماعي يحمل في طياته الكثير من علامات الانفتاح الاجتماعي والثقافي والفكري، او ربما تمثل أنموذجاً مصغراً لعالمنا بحكم احتوائها شرائح المجتمع المختلفة.

إن غوص الشخصيات في المكان وذويانها فيه يجعل الوعي لا يتجاوز حدود المكان المباشر وحدود التجربة اليومية التي تدور فيه، فالإنسان من خلال حركته في المكان يقوم برسم معالمه وشخصه، والمكان من دون الإنسان يصبح عبارة عن قطعة من الجماد، لا حياة ولا روح فيها؛ لأن المكان يكتسب هويته من هوية الإنسان الذي يعيش فيه، كما يؤثر في الإنسان فيكسبه هوية خاصة؛ وذلك لأن ((المكان يكتسب ملامحه من البشر الذين يعيشون فيه))<sup>(١)</sup>.

وفي مدينة الأسلاف المدينة التي نشأ وترعرع فيها البطل (عبد الخالق) مؤلف الرواية، لقد التجأ إليها مؤقتاً خوفاً من القصف الجوي على بغداد، التي استحالت النيران فيها الى جحيم لا يطاق ولا يرحم صغيراً أو كبيراً، ولا مفر للنجاة من الموت الا بمغادرة المدينة، وعند وصوله الى مدينة اسلافه وهو يتجول فيها مع صديقه (يحيى شفيق) عرجا الى مقهى (ابو بلقيس) كان مقهى مشهوراً في مدينته قبل مغادرته اياها، لكن بعد سنوات لم يبق على حاله، لذلك راحت ذاكرته تصور لنا ذلك المقهى ((بعد موت صاحبه واضطرار بناته الى تأجيرها لتاجر تمر احواله الي (علوة) تتراصف فيها خصاصيف التمر حتى السقف، ملطخة بعصيرها الدبق، الجدران التي كان (ابو بلقيس) يزينها بلوحاته (الفطرية) وبيكوراته التي كان من ابرز معالمها شبكة صيد ودراجة هوائية كانت تحمله، من حين الى آخر، الى الريف المحيط بالمدينة مصدر الهامه للوحاته المائية))<sup>(٢)</sup>.

تشغل الذاكرة مساحة سردية واسعة في هذا النص وهي جزء من آلام الروائي فالأماكن التي تعرض لها الروائي تبدو محفورة في ذاكرته؛ لأن بين الذاكرة والمكان علاقة متبادلة اذ ((يقيم المكان في الذاكرة، وتقوم الذاكرة في المكان الاقامة بين الذاكرة والمكان هاجس تظافر والتحام اكثر منه فعل مشاركة بين طرفين تقارب بينهما لحظة زمنية منفصلة ليعاودوا فور انقضائها حياتهما الخاصتين حيث ينسحب كل منهما الي ضفته))<sup>(٣)</sup>.

ومن الأماكن المغلقة التي تم تصويرها من قبل الروائي في (ليل علي بابا الحزين) هو السجن في مدينة الأسلاف كما سماها راوينا ولم يذكر اسمها (( في السرداب... فوجئت برائحة غائط تملأ المكان جعلني اتمنى لو كان في وسعي أن أقفل راجعا من حيث... اتيت

(١) معجم السيميائيات: ١٢٥.

(٢) الرواية: ٤٠.

(٣) حفيد اوراك: ٩٧.

بدا السرداب مظلماً، لا يكاد المصباح الكهربائي الوحيد المدلى من السقف المقرب المزدان بنسيج العناكب يفلح في اضاءة زواياه البعيدة))<sup>(١)</sup>.

ومن أوشى ببطلنا وادخله السجن هو (رياض صبار بشار) مدير المتحف الوطني، كان يظمر لعبد الخالق بعض الشر، فعمد الى افتعال أزمة ادت الى مشادة كلامية بينه وبين (عبد الخالق) للايقاع به فتذرع بعدد من الجمل التي نطقها البطل ليتهمه بالتهكم بمن يعتز بجيشه الوطني ((بغداد امست دون اسوار منذ زمن مدحت باشا..))<sup>(٢)</sup>، او القول ((الاستعانة بمفارز شرطة المرور لتنظيم حشود المقاتلين في تصديهم للأمريكان))<sup>(٣)</sup>.

لقد قدم تقرير كامل بحق البطل (عبد الخالق) وتذرع بالمساس والنيل من معنويات المقاتلين المدافعين عن حياض الوطن المههد بالاجتياح كان (رياض) شخصاً انتهازياً وفاجراً وفاسقاً يقرب مرفوعة الذنب مهياً للسمع في أي لحظة، يقيم الحفلات الماجنة حتى الفجر على شرف ذوي الشأن، ويعمد لاستثمار صلته الوثيقة بهم، لتغطية افعاله المشبوهة القذرة، وخاصة عمليات تهريب الآثار، ولكن اطلق سراح البطل على يد الأمريكان حين دخلوا العراق محررين لا فاتحين كما زعموا فافرجوا عن المساجين عند دخولهم المدينة واطلقوا سراح كل سجين وقعت عليه أيديهم.

لقد صور لنا الروائي ما يعاينه المثقف العراقي في ظل منظومة سلطوية تحو الأنساق الفكرية المعارضة لها وتصادر حريتها في الكلام والتفكير، وقد برع الروائي في اختيار حقائق واقعية، وصور مدى تفاعلها مع الأحداث دون مبالغة او اكراه. كما أن الرواية هي سيرية لأن شخصية البطل هي نفسها شخصية المؤلف (عبد الخالق الركابي) اذ قدم المؤلف هذه الرواية السيرداتية مدعومة بتجربته الشخصية ملتزماً بنصيحة الروائي (جون برين) حين قال: ((اكتب دوماً من التجربة... ان تجربتك الشخصية فريدة دون ادنى شك فاذا اردت لصوتك ان يسمع من بين آلاف الأصوات، واذا اردت لاسمك أن يعني شيئاً بين تلك الألاف من الاسماء، فسبيلك الوحيد أن تقدم للناس تجربتك الشخصية بصدق))<sup>(٤)</sup>، فالسيرة الذاتية تمثل شكلاً من اشكال الكتابة الأدبية الوثائقية؛ لأن فن السيرة الذاتية يشكل فرعاً رئيساً

(١) الرواية: ٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ٧٢.

(٣) المصدر نفسه: ٧٢.

(٤) كتابة الرواية، جون برين، ترجمة: مجيد ياسين، مراجعة: د.مدحي الدوري، دار الشؤون العامة، العراق - بغداد، ط١، ١٩٩٣: ٢٧.

ومهماً في شجر السرد القصصي، وتبقى مادتها مرجعاً وممولاً أساسياً و مركزياً لبقية انواع السرد بوصفها ((الجنس الأدبي لقص ترجمات الأشخاص))<sup>(١)</sup> .

ان ما تعرض له الروائي، اراد ان يجسده على شكل احداث سردية متتابعة للتعبير عن احداث خاصة وعامة اراد لها ان تشاهد علانية كذلك، اراد انجاز نص سيرذاتي ينتمي الى عائلته الروائية، فضلا عن مركزيتها المرجعية لإضاءة مناطق معتمة في ارضه الروائية، كذلك جعلها شهادة سياسية على انتهاكات السلطة وكيف اصبح المثقف العراقي محاصرا فكريا، فهو يلقي الضوء على ازمة الفئة المثقفة في ظل واقع قسري مهيمن ممثلا بالحروب والسلطة العنيفة.

ومن الأماكن المفتوحة التي تناولها الروائي وصورها لنا، هو الجسر المقام على نهر ديالى، بعد الافراج عنه على يد الأمريكان قرر ترك مدينة الأسلاف والتوجه الى العاصمة العراقية (بغداد) المدينة التي يسكنها، وعند المدخل الجنوبي المحاذي لمعسكر الرشيد كان عليهم اجتياز الجسر المقام على نهر ديالى ((كان قد نسف جزء منه اقيم في موضعه معبر مؤقت بحراسة (المارينز) لم أكد أوشك على الانتهاء من اجتياز الجسر بسيارتي حتى ارتفع صياح زوجتي وهي تحذر الأطفال من النظر الى الخارج، حيث لاح لي مشهد سيبقى محفورا في ذاكرتي الى الأبد، فأسفل الجسر وعلى امتداد الجرف المقابل، تناثرت عشرات الجثث المنتفخة المغطاة باسراب الغربان في مشهد رهيب اشبه ما يكون بنصب سريالي صممه فنان مجنون كانت جثث جنود عراقيين، وهم بملابسهم العسكرية، وقد تساقطوا بوضعيات مختلفة قرب خط المياه))<sup>(٢)</sup>.

الجسر هنا يمثل الطريق نحو الأمان، وهو مكان مفتوح إلا أنه تحول الى مكان خانق بفعل المشاهد المرعبة المتمثلة بصورة الجثث الطافية، المغطاة باسراب الغربان التي اثارته حفيظة الروائي وعائلته، وشكلت لديهم هاجس الخوف والفرع من المجهول الذي ينتظرهم، لقد ضمن الروائي (عبد الخالق) أحداث واقعية حدثت بالفعل وعاشها هو بنفسه، وبذلك نحن لا نقرأ احداثاً سردية متلاحقة بل نشاهدها أمامنا، وهذا يذكرنا بنصيحة الروائي (جون براين) في كتابه(كتابة الرواية) الذي هو خلاصة تجربته وهو يؤكد على الكتاب ((اكتب دوماً وكأن احداث روايتك تجري امام عينيك على خشبة مسرح باهر الانارة))<sup>(٣)</sup> .

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة ، وكامل المهندس، مكتبة

لبنان - بيروت، ط٢، ١٩٨٤: ٢٠٥.

(٢) الرواية: ١٠٥-١٠٦.

(٣) كتابة الرواية: ٤٠.

اذن فالمكان في الرواية في مقدمة العناصر والأركان الأولية التي يقوم عليها البناء السردي، والمعروف ان الاهتمام باختيار الأمكنة في السرد الروائي يساعدنا على معرفة ما يريد الروائي توصيله الى المتلقي، ويكاد يكون من المؤكد، بل الجزم ((ان النص - اي نص - يبقى هلاما بلا أبعاد ولا مقاسات ان هو خلا من او تخلى عن ابجدية المكان، ولا يمكن تصور عالم بلامح وسحنات ان لم يكن للمكان وجود في شكله))<sup>(١)</sup>.

فللمكان سطوة وميزة لا يمكن انكارها لكونه ((الحافز المحرك للحوادث))<sup>(٢)</sup> ولولا وجود المكان لتلاشى وجود الزمن، فاذا كان كل فعل يقوم به فاعل يجري في زمان، فإنه يقع كذلك في مكان، بل ((ان مقولات الفعل والفاعل والزمان لا يمكنها ان تتحرك الا في المكان الذي يستوعبها ويؤطرها))<sup>(٣)</sup>.

ومن الأماكن الأكثر إثارة التي صورها الروائي هو (المعرض التشكيلي للرسم) الذي اقيم على سور حديقة في مدينة المنصور ببغداد وقد جسدت اللوحات عذابات سجناء (ابو غريب) بعد شهور علي انفجار تلك القضية في وسائل الاعلام العالمية.

وقد اطلق الفنانون على معرضهم (تجليات ابو غريب) وذلك لرسمهم لقطات دأبت اجهزة التلفاز بثها مضيفين عليها دلالات رمزية مستقاة من خزين الفكر الغربي فقد جسد احد الفنانين مثلا صورة ((السجين الذي وضع راسه في كيس اسود وقد صالبا ذراعيه الى جانبيه، جسده بربطه بأبرز رموز الغربيين، فقد رسم في خلفية اللوحة ايقونة للسيد المسيح وهو يلفظ آخر انفاسه على صليبه، وثمة فنان آخر ربط بين ذلك السجين الذي تسحبه مجندة امريكية بمقود وبين عذابات احد قديسي العصور الوسطى، اما تلك اللقطة الشهيرة التي رتب فيها عدد من السجناء وهم يواجهون عدسة جهاز التصوير بمؤخراتهم العارية لقد ربطها الفنان بعمليات العقاب الجماعي الهولوكوست))<sup>(٤)</sup>.

لقد ابدى الروائي اهتماما كبيرا بتصوير المكان باعتباره وثيقة ادانة للإنتهاكات الإنسانية التي قام بها الأمريكان تجاه المعتقلين العراقيين وهو بذلك اراد ان يفند ادعاءاتهم المزعومة تجاه الإنسانية والتي كثيرا ما يتفاخرون بها كذبا امام الاعلام العالمي، لقد كشفت

(١) الرؤى والأمكنة - نصوص مفتوحة مسئلة من ذاكرة المكان، زيد الشهيد، دار الينابيع،

سوريا، دمشق، ط١، ٢٠١٠: ١١

(٢) بنية النص الروائي: ١٦٣.

(٣) قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز العربي، الدار

البيضاء، ط١، ١٩٩٧م: ٢٤١.

(٤) الرواية: ١٥٧.

اللوحات المعروضة لنوازعهم العدوانية ووحشيتهم تجاه الآخرين، كما تسفه ثقافتهم المقيتة المزيفة، وعريهم من ابسط الأخلاق الفاضلة.

ان الروائي الواقعي لابد ان يعير للمكان أهمية كبيرة بالقدر الذي لابد منه ليبين مدى تأثير ذلك في شخصياته، كما ان المكان له دلالة خاصة يستطيع ان يفسر كثيرا من الدلالات الاجتماعية والنفسية.

## الخاتمة

- بعد قراءة دقيقة لما هو مدرج في هذا البحث من موضوعات تمت معالجتها وجدت ان أهم ما يمكن استخلاصه من نتائج موضوعية تتمثل بالآتي:
١. يستعمل الروائي اللغة العربية الفصحى في الرواية .
  ٢. نلمس من اللحظة الأولى في الرواية علاقة الشخصية بالمكان والزمان، فيكشف لنا الروائي منذ الوهلة الأولى عن علاقته الصريحة مع الفضاء بقسميه الزمان والمكان لنقتنص خلال هذه العلاقة مدى التلاحم والتلاصق بين عناصر الرواية.
  ٣. وظف الروائي المكان في الرواية باعتباره بطلا لروايته، فقد القى الضوء على أحداث حقيقية أراد لها ان تشهد علانية لتكون شهادة ووثيقة تاريخية على الانتهاكات التي يتعرض لها العراق اثناء الاحتلال الأمريكي.
  ٤. تطرق الروائي الى ازمة المثقف العراقي في ظل منظومة سلطوية تمحو الإنساق الفكرية المعارضة لها وتصادر حريتها في الكلام و التفكير في خضم واقع قسري ممثلا بالحروب والسلطة العنيفة.
  ٥. ان الروائي عبد الخالق الركابي من الروائيين الواقعيين، لذلك حفلت روايته بأحداث واماكن حقيقية، إذ ذكر فيها العديد من الشوارع والأماكن التي هي نبض الشارع البغدادي، وهو بذلك يسلط الضوء ليفسر الكثير من الدلالات والأحداث الاجتماعية والنفسية.

## ثبت المصادر

أولاً : الرواية :

❖ ليل علي بابا الحزين، عبد الخالق الركابي، المؤسسة العربية للدراسات العربية، ط ١، ٢٠١٣.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية:

❖ بنية النص الروائي، ابراهيم خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة - الجزائر، ط ١، ٢٠١٠.

❖ حفيد اوراك قراءات في ادب زيد الشهيد، تقديم وتحريير: الدكتور فاضل عبود التميمي، تموز دمشق، ط ١، ٢٠١١.

❖ الرؤى والأمكنة نصوص مفتوحة مستتلة من ذاكرة المكان، زيد الشهيد، دار الينابيع، سوريا - دمشق ط ١، ٢٠١٠.

❖ رؤية جمالية في قصص صبحي فحماوي، د. سوسن البياتي، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية - سوريا، ط ١، ٢٠١١.

❖ عالم الرواية رولان بورنوف وروبال اولئيله، ترجمة: نهاد التكرلي، مراجعة: فؤاد التكرلي والدكتور محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد سلسلة المائة كتاب - الثانية، ط ١، ١٩٩١.

❖ الفضاء الروائي في (الغربة) الاطار والدلالة، منيب محمد البوريمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.

❖ في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) د. عبد الخالق عبد الملك مرتاض سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، الكويت ١٩٩٨.

❖ قال الرواي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٧.

❖ كتاب الرواية جون براين، ترجمة: مجيد ياسين: مراجعة د. مدحي الدوري، دائرة الشؤون العامة، العراق - بغداد، ط ١، ١٩٩٣.

❖ مدخل الى التحليل البنيوي للقصص/ رولان بارت، ترجمة: د. منذر عياش مركز الانماء الحضاري، الأعمال الكاملة، (٢)، ط ٢، ٢٠٠٢.

❖ المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، د. احمد رحيم كريم الخفاجي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق - بابل، ط ١، ٢٠١٢.

- ❖ معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر - الجزائر العاصمة، ط١، ٢٠١٠.
  - ❖ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.
  - ❖ نحو رواية جديدة، آلان روب شوييه، ترجمة: مصطفى ابراهيم مصطفى تقديم: د. لويس عوض، دار المعارف، مصر، دراسات في الآداب الأجنبية، د. ط، د. ت.
- ثالثا: الرسائل الجامعية:**
- ❖ تأنيث الأمكنة في روايات ابتسام عبدالله، انتظار احمد حسين، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة ديالى، ٢٠٠٤م.
  - ❖ قضايا الفن الروائي عند صبحي فحماوي، ابراهيم مصطفى الحمد، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠١٢م.